

التربية المختصة وذوو المواهب البارزة

يعتبر الموهوبون الثروة الحقيقية لأي مجتمع من المجتمعات نظراً لقدرتهم الفائقة على النهوض بشؤون أمتهم إذا ما أحسنت رعايتهم، الأمر الذي دفع المهتمين بشؤون علم النفس والتربية إلى ابتكار وسائل وأساليب متنوعة للكشف عن هؤلاء الموهوبين وما لديهم من قدرات تفكير إبداعي ومهارات عالية، وذلك بهدف رعايتهم وتحقيق أفضل الظروف البيئية الممكنة لاستثمار تفوقهم تمهيداً لتسليمهم مهام قيادية لاحقاً.

وحيث أن التربية الحديثة تركز على دور التلميذ المحوري في العملية التعليمية، ونظراً للمسؤولية التي تقع على عاتق النظام التعليمي في اكتشاف المواهب المميزة ورعايتها، فمن المفيد أن يتكيف هذا النظام بمحتوياته كافة مع التلميذ، وأن ينسجم مع قدراته وميوله، لا أن يتم تكيف التلميذ معه كما هو دون مراعاة لمواهبه وفرادته. والتقييم بوصفه عنصراً أساسياً من عناصر العملية التعليمية لا يمكن اعتباره تقيماً عادلاً ما لم يكن شاملاً لكافة جوانبها، من تلميذ ومعلم ومنهج ونشاط تربوي يعبر عن ظواهر سلوكية معينة، فضلاً عن قياس القدرات العقلية ونواحي الشخصية والميول والاتجاهات والمهارات المتنوعة لكل تلميذ. وبما أن رعاية التلاميذ الموهوبين تدخل في نطاق برامج التربية المختصة، سنحاول في بحثنا هذا الوقوف على مدى الاهتمام الذي توليه هذه البرامج للموهوبين، فضلاً عن دور التقييم الشامل في الكشف عن أصحاب المواهب تمهيداً لإحالتهم إلى برامج مختصة تُعنى بتطوير قدراتهم البارزة.

بعض علماء النفس التربوي يعتقدون أن التربية المختصة يجب أن تهتم بذوي الحاجات الخاصة الذين لا يرون من بينهم ذوي المواهب. ويرى البعض الآخر أن هذه الحاجات ليس بالضرورة أن تكون سلبية، بل يمكن أن تكون إيجابية، بمعنى أن التلميذ الموهوب هو أيضاً ذو حاجة خاصة ولكن من نوع مختلف.

للوصل إلى نتيجة علمية واضحة، سنعمد نظراً لتحليلية عبر الكلام أولاً على نشأة التربية المختصة ومجالات تطبيقها، ثم سنعرض لمفهوم الموهبة والموهوبين وكيفية الاهتمام بهم في ضوء مفاهيم التربية المختصة واساليبها، وأخيراً سنشير إلى دور النشاط التعليمي في الكشف عن الموهوبين انطلاقاً من عملية تقييم شاملة في ضوءها نعرف من هو المعوق ومن هو المتفوق.

على الرغم من التطور الكبير الذي لحق بمفهوم التربية المختصة ومناهجها، إلا أننا نكاد لا نلمس اهتماماً جدياً بذوي المواهب بالقدر ذاته الذي توليه لذوي الإعاقات المختلفة. من هنا كان لا بد من شرح دور المدرسة وتحديدًا من خلال عملية التقييم في الكشف عن المواهب ومن تمّ تنميتها بواسطة مناهج التربية المختصة المعدة للموهوبين.

إنّ تطور المجتمع مرتبط بالتنمية الصحيحة لطاقت كل أفراد، وفي أغلب الأحيان لا يحصل الموهوبون على العناية التربوية الملائمة لتطوير قدراتهم، ذلك أن النظرة غير الشاملة تركز لا شعورياً على مساعدة أصحاب الإعاقات وتهمل الاهتمام بأصحاب المواهب البارزة، على الرغم من أن هؤلاء يمتازون بطاقة هائلة على الخلق والإبداع. وهنا تبرز التساؤلات الآتية:

- هل يمكن تصنيف الموهوبين ضمن فئة ذوي الحاجات الخاصة؟

- هل تلعب المدرسة دوراً أساسياً في الكشف عنهم؟

أولاً: التربية المختصة والموهوبون

يندرج ضمن فئات ذوي الحاجات الخاصة، الموهوبون، وهم الأشخاص الذين يتمتعون بقدرات خاصة تفوق الأشخاص العاديين، لذا هم يحتاجون إلى طرق عناية ومتابعة مختلفة اعتادت أن تقدمها برامج التربية المختصة بدرجة عالية أو متدنية من الفعالية.

أ- مفهوم التربية المختصة ونشأتها

ارتبط مفهوم التربية المختصة بداية بالتخلف العقلي، ثم توسع هذا المفهوم ليشمل فئة ذوي الحاجات الخاصة، أي أولئك الذين يعانون من قصور في وظيفة أو أكثر من وظائف الجسم، سواء كانت حركية، ذهنية، أم نفسية. واليوم تطور المفهوم ليشمل أيضاً الموهوبين باعتبارهم أشخاصاً ذوي قدرات خاصة، وبالتالي ذوي حاجات خاصة تفرضها طبيعة قدراتهم وميولهم.

والتربية المختصة هي التربية النموذجية التي تهدف للوصول إلى تطوير مهارات التلميذ والوصول به إلى نتائج استقلالية واجتماعية وإبداعية أفضل. وهي بعدُ تساعد التلميذ على استيعاب المعلومات بحسب حاجاته وقدراته، وتعتمد إلى تعديل الماد وتكييفها للوصول إلى الأهداف المطروحة الملائمة لحاجات معينة عند التلميذ.

ب- أسس التربية المختصة و مجالاتها

ترتكز التربية المختصة على النقاط الآتية:

- تطوير مواد ووسائل إيضاح لشرح المعلومات بحسب حاجات التلميذ.
 - التعليم بالحواس الملائمة لطريقة استيعاب التلميذ.
 - تطوير برامج فردية مختصة لكل تلميذ.
 - البحث، فردياً، عن حلول للصعوبات التي يواجهها التلميذ عبر التقويم المستمر يومياً وأسبوعياً وشهرياً وفصلياً.
 - الاستفادة من نتائج التقويم للوصول بالتلميذ إلى أقصى قدراته.
- بعد استعراض مفهوم التربية المختصة، يمكن بالتالي تحديد مجالاتها، فنجد انها مرتبطة بالولد المختلف. "والولد المختلف تربوياً هو الذي يحتاج إلى تدخّل ومتابعة خاصة لمساعدته على الوصول إلى أقصى قدراته". وأنواع الاختلاف التي تتناولها هي الآتية:
- الصعوبات التعلمية.
 - الإضطرابات العاطفية والسلوكية.
 - الإضطرابات التواصلية.
 - إضطرابات النمو الشاملة.
 - القصور الجسدي والصحي والعقلي.
 - الموهبة والتفوق.

ج- تعريف الموهوبين

هم الذين يمتلكون قدرة عقلية عالية، وقدرة إبتكارية مرتفعة، فضلاً عن الدافع القوي للمثابرة والإنجاز، وبالتالي يمكن القول أنّ الموهوب هو من توجد لديه استعدادات فطرية، وقدرات غير عادية، وأداء متميز عن أقرانه في مجال أو أكثر من المجالات التي يقدرها المجتمع، وخاصة في ميادين التحصيل العلمي والاختراعات والمهارات الفنية والأدبية والرياضية، وغير ذلك.

والموهبة عبارة عن سمات معقدة تؤهل الفرد للإنجاز المرتفع في بعض المهارات والوظائف، والفرد هنا يمتلك استعداداً فطرياً وتصلقه البيئة الملائمة، لذلك تظهر المواهب عادةً في الأسر التي يتمتع الوالدان فيها بقدر لا بأس به من الوعي والثقافة.

ومع نمو العلم وتقدمه، ظهرت آراء جديدة تنادي بتغيير النظرة إلى مفهوم الموهبة، فأصبح علماء النفس والتربية يطلقون اسم الموهوب على كل من أظهر تميزاً بارزاً في مجالات الحياة المختلفة، العلمية والفكرية والفنية والاجتماعية والرياضية والحرفية...

ثانياً: دور التقويم الشامل في الكشف عن الموهوبين

لا شك أنّ مدى نجاح البرامج المعدّ لرعاية الموهوبين يتوقف إلى حدّ بعيد على مدى النجاح في تشخيصهم، ومن ثمّ حسن اختيار ما يناسبهم من برامج دعم وتعزيز. لذلك تعدّدت وسائل التعرف على الموهوبين والكشف عنهم، وكان من أبرزها عملية التقويم الشامل.

أ- مفهوم التقويم الشامل

التقويم هو تحديد قيمة الشيء والحكم على مدى تحقيق الأهداف المطروحة، بحيث يكون عوناً على رصد المشكلات، وتشخيص الأوضاع، ومعرفة المعوقات، بقصد تحسين العملية التعليمية ورفع مستواها. ويكون التقويم شاملاً عندما يتناول العملية التعليمية بجميع مكوناتها وأبعادها، لناحية الأهداف والمنهج والطرائق والمعلم والتلاميذ ومراحل النمو. والتقويم الشامل يستدعي الاستمرارية، بمعنى أن تستمر عملية تقويم أداء التلميذ منذ بداية العام إلى نهايته، للحكم على التطور المنجز.

ب- أساليب الكشف عن الموهوبين

يعتبر التحصيل الدراسي من المحكات الأساسية في الكشف عن الموهوبين، وذلك بالرجوع إلى سجلات العلامات المدرسية لكل تلميذ.

ولكنّ التلميذ الموهوب قد لا يحقق نجاحاً بارزاً في التحصيل الدراسي، وهذه الفئة باتت ظاهرة متكررة ومؤكدة في كثير من الدراسات. لذا يجب التأكيد على التعريف الذي أورده أنقأ والذي يدرج المتفوق في مجالات الرياضة والأدب والفن والميكانيك... ضمن فئة الموهوبين، فضلاً عن التفوق العلمي والمعرفي.

تعتبر عملية تشخيص الموهوبين عملية معقدة تنطوي على الكثير من الإجراءات، وتتطلب أكثر من أداة قياس، نظراً لتعدد أبعاد مفهوم الموهبة. وقد اقترح علماء النفس التربوي الكثير من وسائل الكشف عن الموهوبين، من أبرزها:

- ملاحظات الوالدين والرفاق.

- ملاحظات المعلمين والخبراء.
- مقاييس الذكاء المتعددة.
- الإختبارات التحصيلية.
- إختبارات التفكير الإبداعي.
- التقارير الذاتية.

وبما أن أدوات القياس متنوّعة فيجب أن تكون عمليّة التقويم شاملة ومتنوّعة كذلك، ففي معظم الأحيان يبقى التلميذ الموهوب غير مشخّص في الصف في ظل غياب متابعة المعلم والأهل له لمراقبة قدراته وملاحظتها من جهة، وبسبب أنظمة تربويّة تقليديّة تعتمد في تقويم التلاميذ على نتائج الامتحانات المدرسيّة دون سواها. هناك خطوط رئيسة تميّز بين الموهوب وغير الموهوب، وليس الأداء المدرسي والتحصيل فقط هو الحكم هنا، بل لا بدّ من مراقبة مستمرّة لأداء التلميذ ومهاراته في مختلف المجالات، وهذا بالضبط ما يؤمّنه التقويم الشامل. تلعب المدرسة دوراً مهماً في الكشف عن المواهب والقدرات الابتكاريّة والإبداعية لدى التلاميذ، ومن ثمّ دعمها وتطويرها، فهي البيئة الاجتماعيّة والتعليميّة التي يمضي فيها التلميذ زمناً غير يسير من أعمارهم من أجل التزوّد بالخبرات اللازمة.

ولكنّ أغلب المدارس لم تطوّر نفسها بالقدر المطلوب لتهيئة الجوّ الملائم لتفجير طاقات الموهوبين وتوجيهها في المسار الصحيح، فضلاً عن إشباع حاجاتهم النفسيّة والتعلّميّة المميّزة، حيث يفشل كثير منهم في تطوير استعدادته بسبب المعوقات والضغوط الناجمة عن عدم انسجامهم مع المناهج وطرائق التعليم وأساليب التقويم التقليديّة التي لا تستثير حبّهم للإستطلاع وشغفهم بالبحث والإبتكار.

من هنا يبرز دور التربية المختصّة في رعاية الموهوبين من خلال وضع خطة تربويّة شاملة توفّر الجو الملائم لنمو المواهب المختلفة، وتعمل على توفير ما أمكن من الأدوات والتجهيزات التي تحتاجها الأنشطة المستعملة في التعرف على المواهب وتعزيزها.

ونحن حاولنا في بحثنا هذا، إلقاء الضوء على مفهوم الموهبة، ودور المدرسة في الكشف عنها من خلال اعتماد سياسة التقويم الشامل، تمهيداً لإحالة أصحابها إلى برامج التربية المختصّة التي من شأنها أن تتعامل مع ذوي المواهب بالقدر المناسب من الإهتمام والحرقيّة. ووجدنا كم ضاع من أصحاب المواهب والقدرات الخلاقة في معترك الحياة لعدم الإهتمام بهم وضعف رعايتهم وتوجيههم في استثمار قدراتهم بسبب الإعتقاد السائد بأنّ هذه الفئات المبدعة ليست بحاجة إلى الرعاية والتوجيه بحكم أنّها تفرض نفسها على المجتمع بيسر وسهولة.

هانوي غازي

مديريّة التوجيه في المركز الإسلامي للتوجيه والتعليم العالي

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - الخوري (توما جورج).- **الطفل الموهوب والطفل بطيء التعلم** .- الطبعة الأولى.- بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002.
- 2 - صالح (ماهر).- **مهارات الموهوبين ووسائل تنمية قدراتهم الإبداعية** .- الطبعة الأولى.- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2006.
- 3 - مارتين (اندرو).- **كيف تحفز طفلك على التفوق في المدرسة وما بعدها** ؛ ترجمة حصّة إبراهيم المنيف.- الطبعة الأولى.- الرياض: مكتبة العبيكان، 2004.
- 4 - مايلز (كريستين).- **التربية المختصة؛ ترجمة عفيف الرزاز**.- الطبعة الأولى.- نيقوسيا: مطبوعات ورشة الموارد العربية، 1994.
- 5 - معوض (ريم نشابة).- **الولد المختلف: تعريف شامل لذوي الحاجات الخاصة والأساليب التربوية المعتمدة**.- الطبعة الأولى.- بيروت: دار العلم للملايين، 2004.